

الإثنين 27-06-2011

1396 - خذ من الديمقراطية ما شئت لها شئت!!

خذ من الديمقراطية ما شئت لها شئت!!

كلما سمعت أو قرأت حديثاً لأبلة الناظرة السيدة كلينتون، وهي توزع درجات امتحان الفترة على شعوب (وأنظمة حكم) الشرق الأوسط بالذات، "هذا تسعة على عشرة"، وذاك خمسة على عشرة، وهذا "برافوا"، وذاك له "ملحق" في ثورة لاحقة، أما "هؤلاء" فهم معفون من الامتحان أصلاً، لأن مادة الديمقراطية ليست مقررة عليهم ماداموا يدفعون أقساط المدرسة أولاً بأول، بالعملة الصعبة أو البترول، الخام، يصلني ذلك بإحاح ثقيل، فأمتلئ غيظاً لدرجة لا يحفف منها إلا شيخي نجيب محفوظ وهو يربت علي كتفي أن "إصير فلا توجد حلاوة بلا نار"، وأبحث عن الحلاوة فأجدها مزاراة علقماً، وأبحث عن النار فلا أجد إلا ألعاباً نارية لا أعرف من يطلقها من وراء ستار.

ننام ونصحو ونحن نسمع أو نقرأ كلمة "الديمقراطية" في كل مقال، وكل حديث، وكل ندوة، وكل مظاهرة، وكل توك شو، وكل نكتة، بل أكاد أقول: وكل حلم، ومهما بلغت الاختلافات بين المتحدثين، فإنهم يتفقون في النهاية، وربما منذ البداية، أن "الديمقراطية هي الحل"، وكل من يعارض، أو حتى يجروء أن يضيف "هذه" أو "المؤقت" (أي: "هذه" الديمقراطية هي الحل "المؤقت") يتهم بالهرطقة، وأنه خرج عن ما جاءت به الديمقراطية بالضرورة"

ليكن، إذن ماذا؟

برغم تسليمي المبدئي بضروره اعتناق هذا الدين الجديد، أو التظاهر بذلك توكياً للتكفير واحتراماً للواقع الحالي معاً، دعونا نفحص المعروض في السوق مما يسمى "ديمقراطية" بغض النظر عن ما إذا كان مستورداً أم محلياً، أصلياً أم مضروباً.

نبدأ باستبعاد الكلام النظري المعاد عن تعريف الديمقراطية وتصنيفها، وأيضاً عن محاورات مالها وما عليها، لأنك سواء كنت معها أو ضدها فسوف ينتهي أي نقاش بأن "العيب ليس فيها وإنما في التطبيق"!!، تماماً مثلما قيل عن الاشتراكية حتى الماركسية، وانتهى الأمر إلى طغيان النظم

المالية الكانيبالية المعولة،

دعونا ندخل من أبسط الأبواب، ونقول:

* "الديمقراطية هي حكم الشعب لنفسه"

(ما رأيكم نقف عند كلمة "الشعب"، وأيضا طلمة "نفسه")

وأيضا :

* الديمقراطية لها ثلاث أركان: حكم الشعب، المساواة!!، الحرية الفكرية... الخ

(بالله عليك: أليس "الغول" و"العنقاء" و"الخل الوفي" أقرب إلينا من هذه المستحيلات الثلاثة؟)

ثم ننتقل إلى التصنيف، وسوف تجد ما يسرك مما تعرف أو لا تعرف،: خذ عندك كأمثلة:

(1) الديمقراطية الأثينية المباشرة (2) الديمقراطية النيابية (3) الديمقراطية الاستشارية (4) الديمقراطية التشاركية (5) الديمقراطية الليبرالية (6) الديمقراطية الاشتراكية... الخ

وعلى من يريد أن يبحث عن الفروق تفصيلا أن يستشير سيدنا "جوجل"، فالهم عندي الآن هو التذكرة بمدى جهلنا بما نردد، ربما مثل ترديدنا أن "الاسلام هو الحل" ونحن نعلم عظمة الإسلام وتراميه، ونتغافل عن تمييز القرآن الكريم له عن الإيمان، فيستعمل الشعار كل من شاء لما شاء أيضا، ولا حول ولا قوة إلا بالله! غفر الله للجميع!!

دعنا الآن نعود إلى تعبير "حكم الشعب لنفسه"، ونحاول أن نتعرف على من هو الشعب (وأكاد أقول، ومن هو "نفسه") فقد كان مبارك ورجاله يعتبرون أنفسهم "الشعب"، وفي نفس الوقت أنهم "نفسه" وبالتالي فهم يوزعون "التورته" على بعضهم البعض كممثلين للشعب وحكامه في نفس الوقت، فحكمهم - هكذا - ديمقراطي نموذجي!! وهم بذلك يعفون بقية الناس، من أعباء الحكم، باعتبارهم ليسوا من الشعب وليتفرغوا للتسالي حتى يأذن الله - وميدان التحرير - في أمرهم.

ثم ها نحن أولاء ننتقل بفضل الله والشباب فالناس، وبرغم القرصنة والمتآمرين - إلى ديمقراطية ميدان التحرير، فنسمع طول الوقت ما يريده الشعب بكل لغة وفي كل ميدان: "الشعب يريد: كذا كذا"، "الشعب يريد: كيت كيت"، وبرغم فرحتنا وتصديقنا لهذا التمثيل التلقائي "للشعب" الذي "يريد"، فمع مرور الوقت لم يعد ثم ضمان أن الذي يهتف هو الأول باستعمال كلمة الشعب هكذا طول الوقت دون مراجعة أو فحص.

حاولت تصنيف أنواع الديمقراطيات البازغة مؤخرا، لأثبت لنفسي أنها صناعة محلية، لا مستوردة ولا مضروبة، فحضرتني

تشكيلات لم أجد ما يجمعها إلا "القدرة على تجميع أو استفتاء أو تحريك ما يبدو أنه أغلبية الناس، باعتبار أنهم متفقون على "رأى ما" أو "مطلب ما"، ولكن الأمر اختلط على:

خذ عندك:

(1) ديمقراطية ميدان التحرير (2) ديمقراطية المهندسين (مسجد مصطفى محمود) (3) ديمقراطية استفتاء الدستور (4) ديمقراطية قنا (5) ديمقراطية امبابه (6) ديمقراطية الانتخابات البرلمانية قبل الدستور (7) ديمقراطية الانتخابات بعد الدستور (8) ديمقراطية الصحف القومية (9) ديمقراطية الصحف (10) ديمقراطية التوك شو (11) ديمقراطية الصحف الفضائية... (12) ديمقراطية الثأر والانتقام.. (13) ديمقراطية ماسيرو (14) ديمقراطية الدويقة.... إلخ إلخ

وحتى نفص الاشتباك قليلا، كان لزاما أن نبحث عن وسيلة تحدد لنا من أولى باستلام التوكيل الرسمى العام عن "الشعب الذى يريد"، وهنا حضرت صناديق الانتخاب، وبعد أن أدت الواجب بكفاءة مناسبة فى الاستفتاء على الدستور، وجدنا أنفسنا أما إشكالية لها دلالة أكبر ونحن نتساؤل:

أى نظام للانتخابات يتمكن به صاحب التوكيل من توفير من يمثل الشعب أصدق؟

الآن أن الأوان للعودة إلى العنوان: خذ من "الديمقراطيه ما شئت لما شئت"

منذ اليوم الأول لتولى اللواء عمر سليمان وظيفة نائب الرئيس كتبت له خطابا مفتوحا نشر فى كل من "المصرى اليوم" و"الوفد" معا بتاريخ 2011/2/2 وكان فيه مطلبان أساسيان الانتخاب بالرقم القومى، وبالقائمة، وحمدت الله أن أجيب المطلب الأول فى الاستفتاء، ثم حدث التردد والتراجع إزاء المطلب الثانى، ومن هنا ساورنى شك متوسط، أن الاستجابة للمطلب الأول (وهو ليس مطلبي وحدي طبعاً) كان هدف واضح، وتحقق والحمد لله، برغم أنى من الذين قالوا "لا"، أما التردد أمام التوصية الثانية فالأرجح أنه يرجع إلى الحيرة فى تحديد الهدف، هل هو التنشيط على مجموعة معينة، حزبا أو جماعة، شبابا أو شيوخا... إلخ، ومن هم؟

أغلب الظن أنه لا أحد من الذين بيدهم الأمر يريد عودة الحزب الوطنى، مع أن فلولة جاهزة للانتخاب الفردى ولو بحكم العادة، لكن يبدو أن هناك حسابات جديدة، وربما ضغوطا جديدة، وأخشى ما أخشاه أن هذه الحسابات وهذه الضغوط هى التى سترجع الكفة فى النهاية، والديمقراطية المطروحة، يفضضتها، وحيثها تسمح لمن بيده الأمر أن يأخذ منها "ما شاء لما شاء" "أو لمن شاء".

إبراء لذمتى تقمصت الناخب بالنظام الفردى (وأنا أستطيع ذلك من حيث أنى فلاح لنائم أعى متى أقول لزوج أسمى يا

عمى، بل إننى أستطيع أن أقولها أيضا للكلب إذا حكم، وأهم نفسى أنن سأظل أسدا ما دمت ألعن الزما: "الله يلعنك يا زمان وانت بقيت باهم، والكلب لما حكم قال له الأسد يا عم"، ثم إنى عدت أتقمص ناخب النظام بالقائمة، فوجدتني في وسط شباب 25 يناير، وحول زحام من كتب الاقتصاد، ومعلومات السياحة، وإبداع محفوظ، ونظريات التطور، وآمال بلا حدود، واستعداد للهزيمة التي يمكن أن أصحها لاحقا بالقائمة أيضا.. إلخ

وإليكم بعض ما كان، واستحضروا خيالكم معي لو سمحتم:

أولاً: دوافع وأهداف - حالة كوني ناخباً فردياً:

(1) العلاقات الخاصة (2) كاريزما المرشح (3) المصالح الذاتية: من تأشيرة العمرة إلى تسهيل غش امتحانات الإعدادية (4) التعصب الديني (5) العصبية العائلية (6) الانتماء للقبيلة (7) الأصل الإثني (8) الأخلاق النص نص (9) أحلام البناء في الأرض الزراعية (10) وضع اليد (11) توقعات من هو الفائز (انتخب من أرجح فوزه من باب الخبطة) (12) دخول الجنة (13) رضا الوالدين (14) جمال رباط العنق (15) سميرية القوام. (وما أشبهه)

ولا مانع أن أتذكر بعد ذلك أي شيء عن "الاستقلال الاقتصادي" أو "السياسي" أو "الموقف من اسرائيل" إن كان أي من ذلك قد خطر على بالي بمناسبة الانتخابات، أتذكرهم ولم من باب التسالي!!

ثانياً: دوافعي وأهدافي ناخباً بالقائمة (وأنا أنظر في الأسماء والبرامج وأقارن):

(1) سمعة الحزب أو المجموعة صاحبة القائمة (2) التاريخ الشخصي والسياسي لأغلب افراد القائمة (3) ترتيب الاسماء في القائمة (4) دخول الجنة الحقيقية (5) برامج الإنقاذ الاقتصادي واستقلاله (6) أسس وآليات تصحيح التعليم (7) قوة الجيش واحترامه ودوره (8) قبول تحدى العدو القريب والبعيد (9) آليات إرساء العدل (10) احترام الصغير قبل ومع الكبير (11) تنمية الإبداع (وليس فقط المواهب) (12) تعزيز الكرامة البشرية والكرامة الوطنية (13) ماء النيل (14) الإسهام في زرع السودان مع مصر (15) ترويج السياحة (16) محاسبتى لنفسى أمام الله " بَلْ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ " (17) ترجيح ما ينفع الناس فيمكث في الأرض (18) مقاومة النظام العالمي الجديد (20) الحفاظ على النوع البشرى من الانقراض (فوت - هذه)

(هذا ولم أمنع نفسى من توقع تسهيلات شخصية، وآمال في مكاسب، إشعنى بتوع الفردى؟؟؟)

(ملحوظة: النظام بالقائمة له كل عيوب الديمقراطية بالإنابة، لكن قضا أخف من قضا إلى أن نلتقى)